

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باجي مختار - عنابة-
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية



التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة
تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة
تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

إدارة المجلة: أ.د. عبد المجيد حنون
رئيسة التحرير: د. سامية عليوي

أمانة التحرير:

- د. سامية عليوي

- أ.د. عمار رجال

- أ. سليم لسود

منشورات مخبر الأدب العام والمقارن
العدد السادس
جوان 2016



العنوان: مختبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار / عنابة

ص.ب. 12 عنابة - 23000 / الجزائر

الموقع الإلكتروني: llgc.univ-annaba.dz

البريد الإلكتروني: ettawassol.eladabi@gmail.com

التّرقيم الدّولي الموحد للمجلّات: ISSN 1112-7597

رقم الإيداع: 2007-4999 Dépôt légal

الهيئة الفخرية:

- 1/ أ.د. مختار نويوات (جامعة باجي مختار - عنابة) / الجزائر
- 2/ أ.د. بيار برونال (جامعة الصوروبون) / باريس
- 3/ أ.د. حسام الخطيب (جامعة قطر) / قطر
- 4/ أ.د. يوسف بكار (جامعة اليرموك) / الأردن
- 5/ أ.د. عز الدين المناصرة (جامعة فيلادلفيا) / الأردن

لجنة العدد العلمية:

- 1- أ.د. عبد المجيد حنون (ج. عنابة) / الجزائر
- 2- أ.د. محمد إبراهيم حور (الجامعة الهاشمية) / الأردن
- 3- أ.د. رشيد قريع (ج. قسنطينة 1) / الجزائر
- 4- د. يد اللهلي فارساني (ج. جمران، أهواز) / إيران
- 5- أ.د. وحيد بن بوغزيز (ج. الجزائر 2) / الجزائر
- 6- أ.د. صالح ولعة (ج. عنابة) / الجزائر
- 7- أ.د. عبد الرحمن تيرماسين (ج. بسكرة) / الجزائر
- 8- أ.د. فاتحة الطّايّب (ج. عُجْد الخامس) / الرباط، المغرب
- 9- أ.د. رشيد شعلال (ج. قالمة) / الجزائر
- 10- أ.د. بومدين جلاّي (ج. سعيدة) / الجزائر
- 11- أ.د. عباس بن يحي (ج. المسيلة) / الجزائر
- 12- د. محمود غيضان (ج. القاهرة) / مصر
- 13- أ.د. حسن كاتب (ج. قسنطينة 1) / الجزائر
- 13- د. محمود حسينات (ج. اليرموك) / الأردن
- 14- أ.د. بشير إبرير (ج. عنابة) / الجزائر
- 15- د. جلال خشّاب (ج. سوق أهراس) / الجزائر
- 16- د. مديحة عتيق (ج. سوق أهراس) / الجزائر
- 17- أ.د. صالح بورقي (ج. عنابة) / الجزائر
- 18- أ.د. عمار رّجال (ج. عنابة) / الجزائر
- 19- أ.د. علي خفيف (ج. عنابة) / الجزائر
- 20- أ.د. نظيرة الكنز (ج. الأمير سطرّام بن عبد العزيز) / المملكة العربية السعودية
- 21- د. سامية عليوي (ج. عنابة) / الجزائر

شروط التّشّير في المجلّة

- * تنشر المجلة البحوث والدّراسات العلمية الأصيلة التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، شريطة ألا تكون منشورة بأيّة صيغة كانت، أو مقدّمة للنّشر.
- * تنشر المجلة البحوث باللّغة العربية أساساً، وباللّغتين: الفرنسية أو الإنجليزيّة.
- * تنشر المقالات المترجمة شرط أن ترفق بالنّص الأصليّ.
- * تكتب البحوث العربيّة بخط (Traditional Arabic) حجم 16، والهوامش 14، وتكون الهوامش في آخر المقال وغير آليّة. أمّا البحوث الأجنبية، فتكتب بخط (Times New Roman) مقاس 14، والهوامش 12.
- * يرفق البحث بملخص عربي، وملتخص بإحدى اللّغتين: الفرنسية أو الإنجليزيّة، (لا يقل عن خمسة أسطر ولا يزيد عن العشرة)؛ تحدّد فيهما الإشكالية وأهمّ العناصر والنتائج؛ ويُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تقلّ عن خمس كلمات ولا تتجاوز العشرة.
- * تخضع كلّ البحوث للتّحكيم العلمي، ويخطر الباحث بالنتائج.
- * يتحمّل الباحث مسؤولية تصحيح بحثه وسلامته من الأخطاء.
- * لا تعبّر المقالات بالضرورة عن رأي المجلة.
- * يخضع ترتيب الموضوعات لاعتبارات فنيّة لا غير
- * لا تُعاد البحوث إلى أصحابها نُشرت أم لم تُنشر
- * ترسل كلّ البحوث عبر البريد الإلكترونيّ للمجلة:

ettawassol.eladabi@gmail.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	07
الدكتورة: سامية عليوي	
1. د. محمد بلواهم	11
نقد الشعر عند "محمد مندور" - الرؤية والموقف الأيديولوجي	
2. أ.د. عبد الرحمن تيرماسين و أ. نسرين دهيلي	37
نصّ العقم .. نصّ العتم - قصيدة "حصار" لـ 'نادر هدى' أمّوذجاً	
3. أ. فاطمة نصير	67
البوليفونية الشعرية (نحو تسريد القصيد)	
قراءة نقدية في ديوان "شهود غزّة" للشاعر: عبد الله أبو شميس	
4. أ. غنية بوحوية	89
العنف ضدّ النساء في الشعر العربي - عنف صريح لصدق أبيح-	
5. أ.د. عمّار رجّال	111
"فاوست الجديد" لحامد إبراهيم - دراسة موضوعاتية-	
6. د. بشرى عبد المجيد تاكفراست	129
التلقّي في النقد العربي القديم - حازم القرطاجيّ نموذجاً-	

7. د. عبد العزيز شويط 153
- في التلقي العربي للنقد الغربي المعاصر
-مشروع الناقد عبد الفتاح كيليطو أنموذجاً-
8. أ.د. نادية هناوي سعدون 189
- الناقد فاضل ثامر والمبنى الميتاسردي
-بين واحدية المفهوم وتعددية المنهج والإجراء-
9. أ. فريدة مقلاتي 219
- بنية المحكي في مقامة "الحجّام" لابن الطيّب العلمي
10. أ. سامية يحياوي 235
- غياب الوطن وحضور المشهد المائي
في رواية "مملكة الفراشة" لـ واسيني الأعرج
11. د. جيداء جواد حمادة (صفحة 04 من اليسار)
- امتطاء الماضي الاستعماري وحاضر ما بعد الاستعمار:
"عجز" ما بعد الكولونيالية في رواية "أجنحة التراب" لجمال محبوب
(باللغة الإنجليزية)

الكلمة الافتتاحية

شجرة أخرى من بساتين تواصلنا معكم، تمدّ جذورها، لتؤثي أكلها وقد أينعت ثمارها ذات شهر من ربيع عام 2016، تنوّع مذاق ثمارها بتنوّع ما وصلنا من عقب مراسلاتكم؛ حيث زخر العدد السادس بعدد من البحوث التي تتسم بالجدّة والجدّيّة، واختلف منبتها بتنوّع البلدان التي وصلتنا بحوث كتّابها.

اشتمل العدد السادس من مجلّتنا على أحد عشر بحثاً (عشرة منها باللّغة العربية، وواحد باللّغة الإنجليزية)، توزّعت على أربع بلدان: العراق، والمغرب، ومصر، والجزائر بجامعات خمسة (عنّابة، بسكرة، جيجل، سكيكدة، خنشلة)؛ وقد توزّعت موضوعاتها على محاور مختلفة، إذ نقرأ في هذا العدد:

أربع دراسات في الشّعر ونقده، وهي:

مقال بعنوان: «نقد الشّعر عند "محمّد مندور": الرّؤية والموقف الأيديولوجي»، تناول فيه صاحبه مفهوم الشّيعر ووظيفته عند مُجدّ مندور الذي كان يهدف إلى ربط الأدب بالواقع والدّعوة إلى الأدب الهادف، وتجاوز ما جاء به من سبقه من النّقاد.

والثّاني بعنوان: «نص العقم .. نص العتم - قصيدة "حصار" لـ "نادر هدى" أمّودجا-»، قدّم فيه الباحثان قراءة لقصيدة معاصرة، هي قصيدة "حصار" لـ "نادر هدى" التي تعاضدت في ثناياها عدّة مستويات تعبيرية (لغوية ودلالية وتصويرية)، ليقفا في التّهاية على البعد الدّرامي في النّص.

والثّالث بعنوان: «البوليفونية الشّعريّة (نحو تسريد القصيد) قراءة نقدية في ديوان (شهود غزّة) للشّاعر: عبد الله أبو شميس»، وهي قراءة نقدية

لديوان الشّباغر "عبد الله أبو شمس"، حاولت صاحبتة الكشف عن الخطيّة الفنيّة الجمالية التي رسمها الشّباغر لديوانه، محاولة استدعاء البوليفونية المتداولة سرديا لتبيّن الخصائص المميّزة لبنية الديوان الكليّة، وما اتّسمت به القصائد من خصائص فنيّة.

أمّا البحث الرّابع فيحمل عنوان: «العنف ضدّ النّساء في الشّعر العربي: عنف صريح لصديق أبيح»، تناولت فيه صاحبتة موضوع المرأة وملامح العنف ضدّها في الشّعر العربي، لتقف عند أهمّ المظاهر التي ورد عليها العنف، محاولة إيجاد مسمّيات لهذا العنف إن كان عنفا صادقا.

كما نقرأ في هذا العدد مقالا عن المسرح بعنوان: «فاوست الجديد - دراسة موضوعاتية-»، وقف فيه صاحبه عند مسرحية "فاوست الجديد" لحامد إبراهيم، محلّلا الأبعاد الاجتماعية والسياسية التي تناولتها المسرحية.

أمّا في مجال نقد التّقد، فنقرأ ثلاث مقالات:

الأوّل بعنوان: «التّلقّي في التّقد العربي القديم - حازم القرطاجيّ نموذجاً-»، اختارت صاحبتة أن تتحدّث فيه عن إسهامات "نظرية التّلقّي" في مجال التّاريخ للأدب وتأويله وإبداعه، باعتبارها تتقاطع مع العديد من التّظريات والمناهج المعاصرة؛ وقد ركّزت الباحثة اهتمامها على التّقد العربي القديم من خلال كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجيّ.

أمّا الثّاني، فبعنوان: «التّلقّي العربي للتّقد الغربي المعاصر - مشروع النّاقد عبد الفتّاح كليطو أنموذجاً-»، تناول فيه صاحبه أنموذجاً من نماذج تلقّي التّقد الغربي عند النّقّاد العرب، مركّزا على واحد من النّقّاد العرب، وهو النّاقد المغربي "عبد الفتّاح كليطو" الذي استفاد من العديد من المناهج النّقدية الغربية في نقد النّص الأدبي العربي الثّرثي والمعاصر - شعريا كان أم سرديا-.

الافتتاحية

أمّا الثالث، فبعنوان: «الناقد فاضل ثامر والمبنى الميتاسردي، بين واحدة المفهوم وتعددية المنهج والإجراء»، وقد تناولت فيه صاحبتة كتاب (المبنى الميتاسردي في الرواية) للناقد فاضل ثامر بالدراسة، كون هذا الكتاب يعدّ جزءاً من المشروع النقدي الحديثي، وهي دراسة في نقد النّقد.

كما نقرأ في هذا العدد، مقالاً بعنوان: «بنية المحكي في مقامة "الحجّام" لابن الطيب العلمي»، وهي دراسة تطبيقية موضوعها مقامة "الحجّام" التي تناول ظاهرة اجتماعية واقعية، عرض من خلالها "ابن الطيب العلمي" أحوال المجتمع في تلك الحقبة الزمنية من خلال شخصية الحجّام الطّبّاع، لتخلّص الباحثة في النهاية إلى أنّ هذه المقامة لا تختلف في آلياتها عن بقيّة نصوص المقامات.

كما نطالع في هذا العدد مقالاً بعنوان: «غياب الوطن وحضور المشهد المائي في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج»، وقفت فيه صاحبتة عند ظاهرة توظيف المشاهد المائية التي هي ظاهرة غريبة في الأساس، لتصل إلى توظيف الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج" لتيمة الماء في نصوصه الإبداعية كمعادل للوطن، وللنفس البشرية المغتربة والمتأزّمة، وذلك من خلال رواية "مملكة الفراشة".

وختاماً، نطالع مقالاً باللّغة الإنجليزية بعنوان: «امتطاء الماضي الاستعماري وحاضر ما بعد الاستعمار: "عجز" ما بعد الكولونيالية في رواية "أجنحة التراب" لجمال محجوب»، وهي دراسة نقدية تناولت فيها صاحبتها رواية "أجنحة التراب" من منظور ما بعد الكولونيالية.

خضع ترتيب المقالات في المجلّة، إلى اعتبارات تقنية لا غير، واختلف تنوّع الموضوعات بتنوّع ما وصلنا من مقالات، على الرّغم من أنّ مادّة العدد كلّها تسبح في فلك النّقد.

لا تعبّر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما تعبّر عن آراء أصحابها الذين يتحملون وحدهم مسؤولية ما يرد فيها من آراء، وما تتضمنه من أخطاء.

نتمنى أن يجد كل قارئ للمجلة واحة يتفّيراً ظلّالها، وفاكهة يستعذب مذاقها، علّه يضيف إلى مائدتها ما يجود به قلمه أو ما يطرحه فكره من ثمر العقول. وختاماً، تتقدّم رئيسة تحرير المجلة بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الذين أسهموا في إثراء هذا العدد، فلولا كتاباتهم ما كان ليكتمل، ويكون بين أيدي القراء الكرام، فكتّابنا هم النبع الثّبر الذي نتمنّاه سخيّاً لا ينضب؛ كما تتقدّم بالشكر الجزيل إلى جنود الخفاء / لجنة العدد العلمية التي كان لها السّبق في قراءة محتوى "التواصل الأدبي"، فهي التي أسهمت في إرشاد الكُتّاب لتفادي بعض الهينات، أو مباركة ما أبدعت أناملهم في فنّ الكلام، فكانوا منارات هُدى، وشموعاً تحترق لتضيء لآخرين، فلهم الشكر والتقدير؛ كما تتقدّم بالشكر إلى عضو أمانة التحرير (السيد سليم لسود) الذي أنفق الوقت الطّويل والجهد الكبير في ترتيب مادّتها، وتصنيفها، وتزيين وجهها؛ فله جزيل الشكر والعرفان.

رئيسة هيئة التحرير:

د. سامية عليوي

العنف ضد النساء في الشعر العربي: عنف صريح لصدق أبيح

الأستاذة: غنيّة بوحويّة

قسم اللغة العربيّة وآدابها

جامعة باجي مختار (عنابة) / الجزائر

الملخص:

بناصيتها إلى التعنيف، فكلمة "عنيف" لا تستعمل إلا عندما نتحدث عن الأحاسيس أو الأفعال، بل حتى عن الطّباع، والتي تلتنقي في فكرة واحدة، ألا وهي وجود اندفاعات تنفلت من قبضة الإرادة⁽¹⁾.

وعليه وسنمنا بحثنا بـ: العنف ضدّ النساء في الشعر العربيّ: عنف صريح لصدق أبيح.

لنجيب عن تساؤلات جوهرية مفادها:

• هل ثمة عنف ضدّ المرأة في الشعر العربيّ؟ وهي التي ذُلت لها مطية القصيدة، فسارت بها أين شاءت؟

• ما هي أهمّ المظاهر التي ورد عليها هذا العنف؟

• هل هذا العنف صادق؟ وإن كان، فهل نبقي على مصطلح العنف حينها؟ أو نستبدله بالصدق العنيف.

لقد كانت المرأة ولا زالت، على مرّ العصور، المنهل الثّر الذي يستقي منه الشاعر الكلم؛ فهي الحبيبة التي شغفت الفؤاد حبّا، فإن رآها فرح، وإن غابت ترح، إن أقبلت تنعم، وإن صدّت تألم. إنّها الزوجة التي إنّما أن تكون تاج عشق له صرّع، أو حائلا دون الحبيبة حدّ، ومنع. وهي الأمّ التي تدعو وتستجير، وتجعل دربه الرّوض النّضير، وهي الخالة، وهي الأخت، وهي العمة، وهي البنت. لكن... إذا ما عدنا إلى شعرنا العربيّ، وجدنا في ثناياه الكثير من ملامح العنف ضدها، هذا العنف الذي يصوّر حقائق عليها مجبّلت، ويقرّر بمكائد عليها نفسها فطّيرت؛ إنّنا في مقام الحديث عن الأحاسيس التي حرّكت وجدان الشاعر حتى قدف لسائه، والأفعال التي قامت بها المرأة، حتى سفعت

الكلمات المفتاحية: العنف، النساء، الكيد، الخيانة، الإجرام، الأمر بالسوء...

Résumé:

La femme était et restera au cours des siècles une source exubérante d'où le poète puise les mots.

C'est elle la bien-aimée, l'épouse, la mère, la tante, la sœur et la fille.

Mais, si nous revenons un peu à notre poésie arabe, nous trouverons dans ses plis plusieurs traits de violence contre la femme. Cette violence qui configure des réalités et avoue des conjurations est innée chez la femme. Sur ceci nous avons ainsi nommé notre recherche:

La violence contre la femme dans

la poésie arabe est – elle une violence catégorique pour une vérité autorisée?

Pour répondre au questionnaire qui est:

- Est ce qu'il existe une violence contre la femme dans la poésie arabe?
- Quels sont les aspects de la violence contre la femme?
- Est-ce que cette violence est véritable, sincère? Si elle en est vraiment, est- ce que nous gardons le concept: " violence " ou nous le remplaçons par " la véracité violente".

Mots clé : Violence, femmes, finasserie, trahison, infraction, torture, ...

العنف خاصيّة ظاهرة أو فعل عنيف كما قال أندريه لالاند (André LALANDE)⁽²⁾، تختلف مظاهره وطرائقه ووسائله، فهو "بطبيعته أداتي، وهو ككلّ وسيلة يظلّ على الدوام بحاجة إلى توجيه وتبرير في طريقه إلى الهدف الذي يتبعه"⁽³⁾. فقد يستعمل هذا سهما، وذاك سيفًا، والآخر سوطا...

لكن... ماذا يستعمل الشّاعر في تعنيفه المرأة؟ إنّه يستعمل ما هو أسرع من السّهم، وأحدّ من السّيف، وأصلب من السّوط. إنّه اللّسان.

تعدّدت مظاهر العنف ضدّ المرأة في الشعر العربي، والتي صنّفناها حسب الصّفات التي دُمت لأجلها؛ والتي تنوعت بين خيانة وغدر، وتعذيب وكيد وغيرها، وتفصيلها في الآتي:

1. العذاب واستعذابه:

كثيراً ما يقترن الحبّ بالعذاب والألم، هذا العذاب الذي إمّا أن يكون لسبب من أحد الطّرفين، وإمّا أن يكون عارضاً، يُختلق من أحدهما لغير سبب. وغالباً ما تكون المرأة بتصرّفاتهما هي الدّافع الأول والأخير لوجوده؛ فإمّا تصدّ وإمّا تهجر، وإمّا تبين وإمّا تكرر. لكنّ الغريب في الأمر أنّ الرّجل يستعذب تعذيبها، ويستحلي مرارة هجرها ويتلذّذ حرّ لحييها، وها هو ابن عبد ربّه الأندلسيّ يقول:

إِذَا جِئْتُهَا صَدَّتْ حَيَاءً بِوَجْهِهَا فَتَهْجُرُنِي هَجْرًا أَلَدُّ مِنَ الْوَصْلِ
وَإِنْ حَكَمْتُ جَارَتِ عَلَيَّ بِحُكْمِهَا وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْجَوْرَ أَشْهَى مِنَ الْعَدْلِ⁽⁴⁾

إنّ المتلقّي لا يرى في قوله إلّا عنفاً ضدّ هذه الحبيبة؛ والتي وصفها بالهاجرة الصّادّة الجائرة، لكنّه ألغى تعنيفه في عجز البيتين؛ إذ رأى هجرها ألدّ من الوصل، وجورها أشهى من العدل. إنّها حال الرّجال العاشقين.. وحال النساء المعبّذات اللواتي لا يُشفقن ولا يرحمن، الجائزات على من تيّمن.

إنّهنّ يدمرن لغير سبب، ولا لغرض الحصول على شيء، ولعلّها طبيعة إجرامية لا تفارقهن، كما ذكر كولن ولسون (Colin WILSON) في كتابه: التّاريخ الإجراميّ للجنس البشريّ.. سيكولوجيّة العنف: كل ذات تنطوي على طبيعة تتسم بالتدمير والانتزاع، واغتصاب شيء والاستيلاء عليه بغير استحقاق بالقوّة أو بالإغارة، أو بالعنف؛ أي الحصول على شيء مقابل لا شيء⁽⁵⁾.

والمرأة بتعذيبها، لا تحصل على شيء، فقط ترتكب جريمة ضدّ الرّجل، فيتنازل عن حقه في محاكمتها، ويقابل ذلك باللّدّة والاستعذاب، والسّعي إلى الاقتراب.

فَنَحْنُ الْقَتَاذُ نُثَرْنَا بِدَرْبٍ
وليسَ لَكُمْ غَيْرُ هَٰذِي السَّيْلِ
تَلْدُونُ وَخَزًا وَتَرْضَوْنَ مِنَّا الـ
جِرَاحَ، وَمَا فِي الدُّنَا مِنْ بَدِيلٍ⁽⁶⁾

وهذا نزار قباني يفرح بنهايته التي كان يتوقع حدوثها قائلاً:

أُحِبُّكَ جِدًّا
وَأَعْرِفُ أَنَّ هَٰوَاكَ انْتِحَارُ
وَأَيَّ حِينَ سَأُكْمِلُ دَوْرِي
سَيُرْخَى عَلَيَّ السِّتَارُ
وَأُلْقِي بِرَأْسِي عَلَى سَاعِدَيْكَ
وَأَعْرِفُ أَنَّ لَنْ يَجِيءَ النَّهَارُ
وَأُقْنِعُ نَفْسِي بِأَنَّ سُقُوطِي
قَتِيلًا عَلَى شَفَتَيْكَ انْتِصَارُ
أُحِبُّكَ جِدًّا
وَأَعْرِفُ مِنْذُ الْبِدَايَةِ
بِأَنِّي سَأُقْتَلُ
وَأَيَّ خِلَالٍ فُصُولِ الرِّوَايَةِ.. سَأُقْتَلُ
وَيُحْمَلُ رَأْسِي إِلَيْكَ
وَأَيَّ سَابِقِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا
مُسَجَّى كَطِفْلِ عَلَى رُكْبَتَيْكَ
وَأَفْرَحُ جِدًّا بِرَوْعَةِ تِلْكَ النِّهَايَةِ⁽⁷⁾

يعرف أنّ هواها انتحار، ويعرف أن لن يجيء النهار، لكنه يقنع نفسه أنّ سقوطه (حتى وإن كان قتيلاً) على شفيتها.. انتصار.

إنّهُ يعرف منذ البداية أنّه سيفشل، وأنّه خلال فصول رواية الحبّ سيقتل.. لكنه يفرح جدّاً بروعة تلك النهاية.

فمن يعلّل حال هذا الحبّ؟ ومن يفسّر تفكيره؟ إنّهُ ينتصر بقتله، ويفرح به.. فرغم تعنيفه اللامباشر للحبيبة التي نعتها ضمنياً بالمعدّبة القاتلة المذلّة، إلّا أنّه باشر بفرحه وانتصاره رغم علمه بما سيلحقه منها من أذى.

2. الكيد:

الكيد صفة في النساء، لا يغسل دنسها البحر، وليست تخفى مع العصر؛ فهو طبع من طبائعهنّ التي ذكرها الله في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ - يوسف: 28-

إنّ الملفت للنظر في هذه الآية أنّ الله جلّ جلاله لم يستثن امرأة منهنّ، وإنّما جعل هذه الوصمة لصيقة بكل امرأة، وهو الذي غالباً ما يتبع مثل هذه التأكيدات باستثناء، كقوله في السورة نفسها: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، وهو القائل في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وهو القائل في سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ - الشعراء: 224، 227-.

الآن: هل يحقّ لنا أن نقول لشاعر أبرز هذه الوصمة إنكّ عنيف؟ وهو الصّادق الذي لم يأتِ بجديد، وإنّما ذكّر بكيد مخيف كما قال أحد العلماء: "إني أخاف من النّساء أكثر ممّا أخاف من الشّيطان، لأنّه سبحانه وتعالى يقول: "إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا" [سورة النّساء / 76]، وقال سبحانه في النّساء: "إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" [سورة يوسف / 28]"⁽⁸⁾.

قال ابن الرّومي:

وَلَوْ حَارَبَ الدَّهْرَ النِّسَاءُ وَكِدْنَهُ
لَأَصْبَحَ مَغْلُوبًا أَسِيرَ عِقَاصٍ⁽⁹⁾
إنّه يقرّ بقوة كيدهنّ؛ إذ لو حاربن وكدن الدهر؛ والذي من خصائصه السّطو، والشّدّة، واللّعب بالنّاس كيف شاء، لأصبح مغلوبًا أسير صفائر شعرهنّ، فكيدهنّ مروّع ومريب.

3. الغدر:

من خلال النّساء أيضا الغدر وعدم الوفاء؛ وقد تردّدا على أفواه الكثير من الشّعراء، ووجدناهما في ثنايا كتب التّراث العربي. يقول أبو العلاء المعريّ:

وَمِنْ صِفَاتِ النِّسَاءِ قِدْمًا
أَنْ لَسْنَ فِي الْوَدِّ مُنْصِفَاتٍ⁽¹⁰⁾

ويقول المتنبي:

إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءُ وَقَتِ بَعْدَهَا
فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ هَا عَهْدُ
وَأِنْ عَشَقْتَ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً
وَأِنْ فَكَّرْتَ لَمْ يَبْقَ فِي حُبِّهَا
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا
يَضِلُّ بِهَا الْهَادِي وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ⁽¹¹⁾

إنّ المتدبّر في هذه الأبيات سيلحظ تعنيقاً للمرأة، بذكر صفات تحملها. بدأ بالغدر قائلاً: إذا غدرت حسناء وقّيت بعهدّها، ليستأنف في العجز وينفي وفاءها قائلاً: فمَن عهدها ألاّ يدوم لها عهدٌ، ثمّ ينتقل إلى صفة حبّها قائلاً: وإنّ عشقت كانت أشدّ صابرة؛ أي أنّها تحبّ بجنون، وبدرجة قصوى، وإن بغضت، فما بغضها بمقصود، ثمّ إنّها إن حقّدت لم يبق مجال للرّضى في حبّها، وإن رضيت زال عن قلبها الحقد.. ليختم بأنّ أخلاق النّساء قد تضلّ الهادي، وتخفي الرّشد.

العنف هنا حقّ تمّ رسمه، وتلوينه ليخرج في لوحة لها قراءات مختلفة، باختلاف الرّؤية السّطحيّة، أمّا الرّؤية العميقة، فلا يمكن أن تنفيه.

ومن أطرف ما ورد من غدر النّساء وعدم وفائهن لأزواجهن، قصة صخر بن الشّريد وزوجه وأمه؛ إذ "كان صخر بن الشّريد أخو الخنساء خرج في غزوة فقاتل فيها قتالاً شديداً فأصابه جرحٌ رغيّب، فمرض فطال مرضه وعاده قومه، فقال عائذٌ من عوّاده يوماً لامرأته سلمى: كيف أصبح صخرٌ اليوم؟ قالت: لا حيّاً فيرجى ولا ميتاً فينسى. فسمع صخرٌ كلامها فشقّ عليه، وقال لها: أنت القائلة كذا وكذا؟ قالت: نعم غير معتذرةٍ إليك. ثم قال عائذٌ آخر لأُمّه: كيف أصبح صخرٌ اليوم؟ فقالت: أصبح بحمد الله صالحاً ولا يزال بحمد الله بخيرٍ ما رأينا سواده بيننا. فقال صخر:

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَمَلُّ عِيَادِي	وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أَكُونَ جَنَازَةً	عَلَيْكَ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ
فَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَائِمٍ حَلِيلَةٍ	فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي أَدَى وَهْوَانِ
أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ	وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعِيرِ وَالنَّزْوَانِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْبَهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا	وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ ^(١٤)

هذه الزوجة ورفيقة العمر ملّت مرضه، وسئمت طولها، غير أنّ عنفه لها لم يكن بقوة ضرب؛ إذ كان طريح الفراش سقيماً، ولم يرم عليها طلاقاً لأنّه كان ذا عقل رجيح حكيمًا. إنّه يرميها بأبيات سرد فيها الموقف، مُعلماً السّامع ومنبّها له أنّ الحليّة لا ترقى أبداً إلى مرتبة الأمّ، ومن فعل ذلك وساوى، فإنّه سيتجرّع الأذى والدّل طول حياته.

والسّؤال: هل هذا عنف؟ حتى وإن صُنّف في مرتبة العنف لأنّه مطيح بكرامة بعض الزيجات؛ إلّا أنّه الحقّ والصدق الواجب ذكره. فما هذا بالعنف، وإنّما هو صدق عنيف.

4. الغي:

النّساء حبال الضّلال والغيّ؛ هنّ المصايد اللّواتي قال عنهنّ الرّسول صلى الله عليه وسلّم: "النّساء حباله الشّيطان"⁽¹³⁾، وقال عنهنّ المعريّ في لزوميّاته:

أَلَا إِنَّ النِّسَاءَ حِبَالٌ غَيِّ
بِهِنَّ يُضَيِّعُ الشَّرْفُ التَّلِيدُ⁽¹⁴⁾

يظهر العنف ضدّ النّساء في هذا البيت بجعلهنّ حبال الغيّ، ومضيّعات الشّرف؛ إذ غالبا ما يكنّ مسبّات هذا الضّياع بتصرّفاتهنّ غير الحكيمة، وبعقولهنّ السّقيمة.

5. الخلف بالوعد:

المواعيد شبكة من شباك الكرام يصيدون بها محامد الأحرار كما قال يحيى بن خالد⁽¹⁵⁾، فبها يفسح البصر، وفيها يُنشر الأمل، وبذكرها تطيب النّفس، وبها يرخى العيش⁽¹⁶⁾. لكن لماذا تعدّدت مواضع ذكر خُلف المرأة بالوعد في الشّعْر العربيّ؟ وهل هي فعلاً ليست أهلاً لتحمل على عاتقها حمل الوفاء بالوعد؟

لماذا يقول المعري:

وإنّ الرّجال إذا لم يحمّها رشّدٌ مثل النّساء عراها الخلفُ
ألا ترى جمع من لا عقل يسنّدهُ جمع المؤنّث فيه التّاء والألفُ⁽¹⁷⁾

ولماذا يقول نزار قبّاني في قصيدة: من ملقات النّساء:

... وكنت تقولين لي
في زمان السّداجة والحلم
والفرح المستحيل
كلاماً جميلاً
وكنت أصدّق هذا الكلام الجميل
" سأبقى أحبّك..
دُون رُجوع، ودُون ندامه..
مِن الآن..
حَتّى بداياتِ يَوْمِ القِيامه "
وبعد ثلاثين عاماً..
تَبَحَّرتِ مِثْلَ غَمَامه⁽¹⁸⁾

قد تخلف المرأة حقاً بالوعد، لكن في مجال الحبّ خاصّة، وهذا راجع إلى أنّ غصن قلبها يريح يميل، وحبّها لأقل سبب يزول. وهو صدق في طباعها، ليس بكذب ولا افتراء.

6. ضلال الرّأي:

من المعروف على النّساء ضلال الرّأي، وضعفه. قال عليّ رضي الله عنه: "إياك ومشاورة النّساء، فإنّ رأيهنّ إلى أفن، وعزمهنّ إلى وهن"⁽¹⁹⁾

ورد هذا في قول بشّار بن برد:

قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى أَطَاعَ أَحَاهُ وَمُطِيعُ النِّسَاءِ غَيْرُ مُصِيبٍ⁽²⁰⁾

فالمرأة ليست أهلاً للمشورة، ولا يجب الأخذ برأيها، وطاعتها.

7. التّصنّع:

تتصنّع المرأة ولا تبدي وجهها الحقيقي أبداً. إنّها تتلون أمام الخليل، ولا تبدي من وجوهها الألف إلاّ الحسن الجميل. يقول جرير:

إِنَّ النِّسَاءَ مُضَيَّاتٌ ظَوَاهِرُهَا لَكِنْ بَوَاطِنُهَا ظُلُمٌ وَإِظْلَامٌ⁽²¹⁾

لم يعنّف جرير النّساء، وإنّما صوّر حال تصنّعهنّ، وإبدائهنّ عكس ما يخفين، حتى وإن صنّف بعض النّقّاد مثل هذه الأبيات في خانة العنف، إلاّ أنّها رصد لحالة صدق .. وإن ورد بأسلوب عنيف.

8. الأمر بالسّوء:

ليست كلّ امرأة أمارة بالسّوء؛ والأمر بالسّوء المقصود هنا، أن تعذل الزّوج، أو أهلها وتمنعهم الكرم، والجود بالمال، وهذا ما أقرّه حاتم الطّائي في موضعين من ديوانه قائلاً:

وَعَاذِلِي هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي وَقَدْ غَابَ عَيْوُقُ الثُّرَيَّا فَعَرَّدَا
تَلُومٌ عَلَى إِعْطَائِي الْمَالَ ضِلَّةً إِذَا ضَنَّ بِالْمَالِ الْبَخِيلُ وَصَرَّدَا
تَقُولُ أَلَا أَمْسِكُ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَرَى الْمَالَ عِنْدَ الْمُمْسِكِينَ مُعَبَّدَا⁽²²⁾

وقال:

وَقَائِلِي أَهْلَكْتَ بِالْجُودِ مَالَنَا وَقُلْتُ دَعِينِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَتِي
وَنَفْسِكَ حَتَّى صَرَّ نَفْسَكَ جُودَهَا لِكُلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا⁽²³⁾

هاهي زوجه تلومه على عطائه الكثير؛ حاسبة أنّه سيهلكه ويضرّه، وينقص من ماله، لكنّه يردّ ردّاً جميلاً مفاده أنّ الطّبع يغلب التّطّبع، فكُفّي اللّوم، إنّها العادة عليها فُطرت، ولا أظنني عنها يوماً أتخلّى. عنف لا مباشر تجلّي فيه أمرها بالسّوء. أمر بالمنع. أمر بالدّعوة إلى ترك الجميل.

9. الحسد والغيرة:

صفتان لا تخلو منهما امرأة على وجه البسيطة؛ وهما الغيرة والحسد، فمهما كسبت تريد المزيد، ولا ترى ما بين يديها، بل تلوي عنقها إلى ما بيد غيرها، ولا تنظر إلى من هنّ أقلّ منها، بل ترفع رأسها إلى من هنّ أعلى. وفي هذا قال مصطفى صادق الرّافعي:

إِنِّي لَطَبْتُ بِالنِّسَاءِ وَقَدْ رَأَيْتُ هُنَّ قُلُوبًا لَا يَزَالُ حَسُودًا
فَلَوْ أَنَّهُنَّ رَأَيْنَ عُودًا قَدْ تَحَلَّى بِالثَّمَارِ حَسَدَنَ ذَاكَ الْعُودًا
وَإِذَا غَضِبْنَ جَعَلْنَ أَسْبَابَ التَّوَا ضِلَّ، إِصْبَعًا أَوْ مِعْصَمًا أَوْ حِيدًا
إِنَّ النِّسَاءَ خَلَائِقُ إِنَّ فُتْنَهُمَا فَهِيَ الْأَسَارَى وَالْخَلِيُّ فُيُودًا⁽⁴⁾

ففي البيتين الأولين تحدّث عن حسدهنّ؛ إذ لا يسلم منه حتى عود حلّته الثّمار، ثمّ يعرض في البيتين التّاليين إلى شدّة حبّهنّ للحليّ؛ والذي يعدّ السّبب الوحيد الذي يرضيهنّ بعد غضب، ويطفئ ناراً كانت بجأشهنّ تلتهب، حتى وإن كان هنّ كبولا، فلن ترضى بغيره للصّالح رسولا.

10. التّمنّع مع الرّغبة:

كثيراً ما تتمنّع المرأة مع رغبتها في الفعل، فتراها تتهرّب، وتتجنّب، وتراوغ، وتتلذّد بحلاوة توّسل الرّجل إليها، تظهر الحزم والجّد، لكنّها ترجوه في قلبها ألاّ يستمع

إلى كلامها، وأن يصمّ سمعه عن قولها وملامها. قال القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي:

وَنَائِمَةٌ قَبَّلَتْهَا فَتَنَّبَهَتْ وَقَالَتْ تَعَالُوا فَاطْلُبُوا اللَّصَّ بِالْحَدِّ
فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي فَدَيْتُكَ غَاصِبٌ وَمَا حَكَمُوا فِي غَاصِبٍ بِسَوَى الرَّدِّ
حُذِيهَا وَخُطِّي عَنْ أَثِيمٍ ظَلَامَةٍ وَإِنْ أَنْتِ لَمْ تَرْضَيْ فَأَلْفُ عَلَى الْعَدِّ
فَقَالَتْ قِصَاصٌ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ عَلَى الْمَذْنِبِ الْجَانِي أَلَدٌ مِنَ الشَّهْدِ
فَبَاتَتْ يَمِينِي رَهْنٌ هُمَيَانٍ حَصْرَهَا وَبَاتَتْ يَسَارِي رَهْنٌ وَاسِطَةِ الْعُقْدِ^(٤٥)

وقال جميل بن معمر:

فَدَنَوْتُ مُحْتَفِيًا أَضِرُّ بَيْنَيْهَا حَتَّى وَجَلْتُ عَلَى خَفِيِّ الْمَوْجِ
قَالَتْ وَعَيْشٍ أَخِي وَنَقْمَةٍ وَالِدِي لِأَنْبِيَّهِنَّ الْحَيِّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَخَرَجْتُ خِيفَةً أَهْلِهَا فَتَبَسَّامَتْ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تُلْجَجْ
فَلَكَّمْتُ فَاهَا آخِذَا بِفُرُوعِهَا فَعَلَ النَّزِيفُ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ^(٤٦)

والحدثان في المقطوعتين تتضمنان تقريبا الأمر نفسه.. امرأة تتمنّع من شخص الحبيب الذي أتاها ليلا خفية، فتمانع وصاله، وتنكر عليه سوء فعالة، ووقاحة سؤاله، لكنّها بعد خوفها من ذهابه، وتواري شمس مجيئه بحجابه، ما تفتأ إلّا بين ذراعيه تبيت، وتضرب الرّغبة التّمنّع بسهم مميت.

11. المبادرة بالإثم:

إذا ما أذنب الرّجل، فذنبه على المرأة؛ إذ هي المبادرة، ولها اليد الطّولى في دفعه إلى ارتكاب الآثام، وممهّدة الطّريق إلى الرّذيلة والوقوع في الحرام، ولو بنظرة، أو إيماء. قال عمر بن أبي ربيعة:

وَلَمَّا التَّقَيْنَا بِالنَّيَّةِ أَوْمَضَتْ مَخَافَةً عَيْنِ الْكَاشِحِ الْمَنَمِّ
أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلَهَا إِشَارَةً مَخْرُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَمِّمِ⁽²⁷⁾

التقيا.. فأومأت بطرف العين الخائف من الأهل أن أقبل.. وبما أنه رُحِبَ به،
فليس له إلا أن يقابل الطلب بالموافقة والقبول.

12. الصدّ:

تصدّ الحبيبة وتهجر، إمّا دلالة على المحبوب، أو لتخلف على صفحة قلبه
النّدوب، وها هي هند تصدّ عن عمر بن أبي ربيعة وتهجره. يقول:

تِلْكَ هِنْدٌ تَصُدُّ لِلْهَجْرِ صَدًّا أَدْلَالُ أَمْ هَجْرُ هِنْدٍ أُجْدًا
أَوْ لَتَنَكِي بِهِ كُلُّومٌ فُؤَادِي أَمْ أَرَادَتْ قَتْلِي ضَرَارًا وَعَمْدًا
فَارْمِي مُعْرَمًا بِحُبِّكَ لَاقِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ وَالْحَفِیْظَةِ جَهْدًا⁽²⁸⁾

لقد تحدّث الشاعر عن صدّ حبيبته، متسائلاً أهذا الصدّ دلالة منها؟ أم أنّه
هجر أعيد، أم أنّها تعمّدت له لتتكأ جرح الفؤاد الذي ما فتى يبرأ؟ أم أنّها أرادت القضاء
عليه؟ ليتوسّل إليها في البيت الأخير أن ارحمي صبا لاقى في درب حبك عذابا
ومشقة.

وها هو البحترى يتعرّض للألم نفسه؛ وهذا ما صرّح به قوله:

تَصُدُّ فِي الْجَوَانِحِ مِنْ هَوَاهَا وَمِنْ نِيرَانِ هَجْرَتِهَا سَعِيرُ⁽²⁹⁾

إنّ أسلوب الصدّ والإعراض عن المحبوب لقاتل حقاً، وهذه الصّفة الدّائمة لم
تأب الاندثار على مرّ الزمن؛ إذ بقيت مصاحبة للنساء كظلهنّ تتبع في الحلّ والمترحل.

وما هذا من الشّاعرين بعنف أيضاً، وإنّما للحقيقة تبيان، بالدليل القاطع والبرهان.

13. نقص العقول:

لقد أقرّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أنّ النّساء جميعهنّ ناقصات عقل فائلاً: "مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلِّبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ" (30).

وهذه الصّفة أخذت حظّها من الشّعر العربي؛ إذ وردت في مواطن كثيرة نذكر منها قول المازني:

شَيْئَانِ يَعْجِزُ ذُو الرِّيَاضَةِ عَنْهُمَا عَقْلُ النِّسَاءِ وَإِمْرَةُ الصِّبْيَانِ
أَمَّا النِّسَاءُ فَلِإِنَّهُنَّ عَوَاهِرُ وَأَخُو الصِّبَا يَجْرِي بِغَيْرِ عِنَانِ (31)

عقل النّساء مُعْجِز؛ فإن كنت أيّها المتلقّي امرأة، فلا أحد يستطيع تفسير هذه العبارة غيرك، وإن كنت رجلاً... فإنّك لن تستطيع فهمها ما حييت؛ إذ هذا النّقص يظهر تأثيره في مجالات عديدة، لا يحدها حدّ، ولا يرصدها رصد.

14. الطمع وحب المال:

المال وما أدراك ما المال، به يصير الوضع ذاك جاه وآل، وبه ينزاح ديجور اللّيال. حبّه مزروع في قلوب النّاس، من الطّفولة إلى اشتعال الرّأس، لكنّ المرأة أكثر حبّاً له من الرّجل، فهي لا يملأ عينها إلّا التّراب، ولن تقلع عن هذا الإدمان إلى مجيء يوم الحساب.

لاحظوا ما قال علقمة بن عبدة:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبُ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدَّهِ نَصِيبٌ
يُرْدَنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَنَهُ وَشَرَحَ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ⁽³²⁾

حبّ المرأة يتلاشى إلى الانعدام أمام أمرين: قلة المال، والشيب.. كان هذا قول علقمة في الزمن الغابر، أما الآن أقول له: فحتى إذا كان الرأس أشيباً، فلا بأس إذا كان حامله ذا ثروة، فإنّ المرأة ستراه تاجاً مشرقاً على هامته.

15. الخيانة:

الخيانة.. كلمة لها وزن ثقيل جدّاً، والحقيقة ليست كلّ امرأة خائنة، لكنّ من مواطن العنف التي عثرنا عليها في الشّعر العربي، والتي تنضوي تحت هذه الصّفة تخصّ حبيبة بعينها، ومن ذلك قول العباس بن الأحنف:

كَتَبْتُ تَلُومَ وَتَسْتَرِيبَ زِيَارَتِي وَتَقُولُ لَسْتُ لَنَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ
فَأَجَبْتُهَا وَمَدَامِعِي مُنْهَلَةٌ تَجْرِي عَلَى الْحَدَّيْنِ غَيْرَ جَوَامِدِ
يَا فَوْزُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِمَالَةٍ حَدَثَتْ وَلَا لِمَقَالٍ وَاشٍ حَاسِدِ
لَكِنِّي جَرَّيْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ لَا تَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ⁽³³⁾

لكنني جرّيتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد. لقد جرّبها؛ أي أنّه لم يحكم عليها حتى رأى بأنّ عينه..

لقد شبّهها بقوم سيّدنا موسى، وفي قوله تناص مع الآية الكريمة: ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَائِهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصَلَهَا﴾ -البقرة: 61-

وهو أيضاً عنف صادق وتصوير لحقيقة وقعت، وإذا ما ذكرنا العنف والحقيقة، وجدنا العلاقة بينهما وطيدة؛ فقد أقرّ باسكال (Pascal) بوجود صراع

خالد بين الحقيقة والعنف؛ إذ لا تستطيع الحقيقة القضاء على العنف، ولا يستطيع العنف حجب أنوار الحقيقة⁽³⁴⁾.

فهنا لا لوم على امرئ اتّخذ من لسانه وسيلة للتّعبير عمّا يجيش في نفسٍ ضاقت ذرعا من أمر لم يتمكّن من تحمّله، فرغم حزنه على هجرها، وما سينجرّ عنه من ألم وعذاب، إلّا أنّه لم يلق سبيلا سواه يروي الغليل، ويشفي العليل.

أمّا ديك الجنّ الحمصيّ فيقول:

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتُكَ وَلَا يَكُنْ عَلَيَّكَ جَوَى فِي الصَّدْرِ حَتَّى تَبِينُ
وَحُخْنَهَا وَإِنْ كَانَتْ تَفِي لَكَ إِنَّهَا عَلَى قِدَمِ الْأَيَّامِ سَوْفَ تُخُونُ⁽³⁵⁾

هنا يجزم أبو محمّد عبد السّلام بن رغبان بأنّ كلّ أنثى خائنة، ناصحاً السّامع بالألّا يصفى لها الودّ، لأنّها ستخون وإن أبدت وفاء.

وفي الحقيقة، هذا هو العنف، إذ لم يخصّص، وإنّما عمّم. استعمل العنف بمفهومه الحقيقيّ، وهو "الاستعمال غير المشروع أو على الأقلّ غير القانونيّ للقوّة"⁽³⁶⁾ سلّط لسانه على كلّ امرأة جاعلا إيّاها الخائنة مهما تحلّت بالوفاء، واتسمت بنقاء الجوهر والصفاء.

لكن ماذا لو أهنّ خائنات؟ هنا سيفتح المجال لنقاش آخر، ولتقديم أدلّة ملموسة.

الخاتمة:

أسفرت الدّراسة عن النّتائج التّالية:

- انضوى الشّعْر العربيّ على اختلاف العصور على ما يصبّور طبائع النّساء، وخاصّة منها ما ساء.

- اتّخذ الشّعراء من ألسنتهم وسيلة لإزالة القتام عن هذه الصّفات التي لا تفارق أنثى على وجه البسيطة.
- صتّفنا مظاهر العنف حسب الصّفات إلى خمسة عشر مظهرًا، وحكمنا على صدقها بالدليل القاطع والبرهان السّاطع، مع تذييل البحث باستبيان وزّعناه على خمسين امرأة، وخمسين رجلاً وفق مقاييس مختلفة لكلّي الجنسين (العمر/المهنة/الدّولة/درجة العلم). طارحين جملة من التّساؤلات لنخلص إلى النتائج المبينة أسفله.
- لا يمكن الاصطلاح على ما ورد من الشّعراء بأنّه عنف، فما هو إلاّ رصد للحقيقة، وتنبية إليها. ولهذا لا يصحّ لنا إلّا أن نقول: إنّهُ صدق عنيف.

وهنا أختتم بقولي:

إِذَا مَا ذَكُرْتَ النِّسَاءَ يَفُوحُ الـ
 —عَبِيرُ، وَيَنْفَحُ طَيْبُ الْخَطَرِ
 فَنَحْنُ الشُّمُوسُ إِذَا مَا امْتَدَحْتَ
 وَلَكِنْ سَنَانًا يُزِيغُ الْبَصَرَ
 وَإِنْ قُلْتَ وَزْدًا.. رَأَيْتَ الْوُرُودَ
 تُخَلِّفُ بِالْوَجْنَتَيْنِ الْأَثَرَ
 وَوَاللَّهِ نَحْنُ الذِّئَابُ بِمَرْعَى الـ
 —حَيَاةٍ، مَعَ السَّطَوِ لَا نَعْتَذِرُ
 فَسَمِ الْإِلَهَ إِذَا مَا دَنَوْتَ
 وَحَمْدِلَ إِذَا مَا وَقِيَتْ الضَّرَرُ (37)

النتائج النهائيّة للاستبيان:

الرقم	السؤال المطروح	الرجال (50)		السؤال المطروح	النساء (50)	
		لا	نعم		لا	نعم
1	هل يستعذب الرجل عذاب حبيبته؟	44	6	هل ترمن من بعض تصرفاتك إلى تعذيب الطرف الآخر؟	49	1
2	هل تكيد المرأة؟	50	0	هل تكيد المرأة؟	50	0
3	هل تغدر المرأة خليلها؟	50	0	هل تغدر المرأة خليلها؟	48	2
4	قال المعري: ألا إنّ النساء حبال غي فهل هذا صحيح؟	50	0	قال المعري: ألا إنّ النساء حبال غي فهل هذا صحيح؟	49	1
5	هل تفي المرأة إن وعدت في الحب؟	5	45	هل تفي المرأة إن وعدت في الحب؟	8	42
6	النساء ذوات رأي ضال	50	0	النساء ذوات رأي ضال	49	1
7	هل تعلم أنّ المرأة تتصنّع؟	19	31	هل من صفاتك التصنّع؟	50	0
8	هل أمرتك زوجك يوماً بسوء؟	24	26	هل تأمرين بالسوء أحياناً؟	43	7
9	أتحسد المرأة وتغار؟	50	0	أتحسد المرأة وتغار؟	50	0
10	هل تعلم أن وراء تمتّع المرأة رغبة؟	34	16	هل تتمنّعين مع رغبتك في الفعل المطلوب؟	50	0
11	عندما تقع في إثم ما.. هل تكون المرأة السبب الذي جرّك؟	43	7	هل أنت حقاً المبادرة بالاثم؟ إمّا بحركة أو إشارة أو إيماء؟	50	0
12	هل عقول النساء ناقصة؟	50	0	هل عقولكنّ ناقصة؟ بالمفهوم المشروح	50	0
13	هل تحب المرأة المال؟	50	0	هل تحبين المال؟	50	0
14	هل تصادف صداً من الحبيبة/ الزوج غالباً ولغير سبب؟	50	0	أتصدّين عن الحبيب/ الزوج لغير سبب؟	37	13
15	هل المرأة خائنة في نظرك؟	46	4	هل أنت خائنة؟	0	50

الهوامش والإحالات:

- (1) محمّد الهاللي، عزيز لزرق: العنف، ط1، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، 2009، ص9.
- (2) المرجع نفسه، ص8.
- (3) حنة أرنلدت: في العنف، ترجمة: إبراهيم العريس، دار السّياقي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص45.
- (4) ابن عبد ربه الأندلسي: الدّيوان، تحقيق: محمّد التّونجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1993، ص132.
- (5) كولن ولسون: التّاريخ الإجراميّ للجنس البشريّ: سيكولوجية العنف، ترجمة: رفعت السيد علي، ط1، جماعة حور الثّقافيّة، 2001، ص10.
- (6) غنيّة بوحويّة: الحاسّة السّابعة (شعر)، عمل مخطوط.
- (7) نزار قّبّاني: قصائد متوحّشة، ط12، منشورات نزار قّبّاني، بيروت، لبنان، 2001، ص49، 50.
- (8) قاسم عاشور: موسوعة الوفاء في أخبار النّساء، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2005، ص279.
- (9) ابن الرّومي: الدّيوان، شرح: أحمد حسن بسج، ج2، ط3، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2002، ص259.
- (10) أبو العلاء المعري: اللزوميّات، تحقيق: سيّدة حامد، وآخرون، ج1، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ص273.
- (11) أبو الطّيب المتنبي: الدّيوان، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، ج2، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986، ص104، 105.
- (12) ابن قتيبة: عيون الأخبار، كتاب النّساء، ج4، ط2، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، 1996، ص230.
- (13) محمّد ناصر الدّين الألباني: الجامع الصّغير وزياداته (الفتح الكبير)، إشراف: زهير الشّاويش، المكتب الإسلاميّ، رقم الحديث: 3428، ص501.

- (14) أبو العلاء المعري: اللزوميّات، ج1، ص 427.
- (15) التّيوبري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج3، تحقيق: حسن نور الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص 238.
- (16) المرجع نفسه، ص 238.
- (17) أبو العلاء المعري: اللزوميّات، ج3، ص 386.
- (18) نزار قبّاني: هل تسمعين صهيل أحزاني، ط4، منشورات نزار قبّاني، بيروت، لبنان، 1998، ص 93، 94.
- (19) شهاب الدّين الأبهسي: المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، ج2، مكتبة الجمهوريّة العربيّة، الأزهر، مصر، ص 226.
- (20) بشار بن برد: الدّيان، تحقيق: محمّد الطّاهر ابن عاشور، ج1، وزارة الثّقافة، الجزائر، 2007، ص 224.
- (21) جرير: الدّيان، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1986، ص 427.
- (22) حاتم الطّائي: الدّيان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1981، ص 40.
- (23) المصدر نفسه، ص 44.
- (24) مصطفى صادق الرّافعي: الدّيان، شرح: محمّد كامل الرّافعي، ج2، مطبعة الجامعة الإسكندرية، مصر، 1322، ص 42، 43.
- (25) الحسن اليوسّي: زهر الأكّم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمّد حجّجي، محمّد الأخضر، ج2، ط1، الشّركة الجديدة، دار الثّقافة، المغرب، 1981، ص 293.
- (26) ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، ج2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982، ص 441.
- (27) عمر بن أبي ربيعة: الدّيان، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 180.
- (28) المصدر نفسه، ص 51.
- (29) البحتري: الدّيان، ج2، ط1، مطبعة هندية بالموسيتكي، مصر، 1911، ص 31.

- (30) البخاري: الصّحيح، ج1، كتاب: الحيض، باب: ترك الحائض الصّوم، رقم الحديث: 304، تنقيح ومراجعة: محمّد فؤاد عبد الباقي، ط1، مكتبة الإمام مالك، الجزائر، 2010، ص174.
- (31) صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1991، ص215.
- (32) ابن الجوزي: أخبار النّساء، تحقيق: إيهاب كريم، دار التّيديم، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص127.
- (33) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: مُحمّد البجاوي، ج17، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص73.
- (34) محمّد الهلالي، عزيز لزرقي: العنف، ص5.
- (35) ديك الجنّ الحمصيّ: الدّيان، تحقيق: مظهر الحجّجي، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2002، ص278.
- (36) أندرية لالاند: موسوعة لالاند الفلسفيّة، تعريب: خليل أحمد خليل، المجلد: 1، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001، ص1555.
- (37) غنيّة بوحويّة: الحاسنة السّابعة (شعر)، عمل مخطوط .